كتاب الزهد والفقر

وفيه بابان :

obeikandl.com

obeikandl.com

الباب الأول

في فضل الفقراء

قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾[1] الآية .

قال سلمان[2]، وخباب بن الأرت ـ رَضِيَ الله عَنْهُما ـ : فينا نزلت هذه الآية ، جاء الأقرع بن حابس[3] التميمي وعيينة بن حصن الفزاري[4] وأصحابهما من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي ﷺ قاعدا مع بلال وصهيب[5] وعمار وخباب

(1) سورة الأنعام ، الآية : 52.

(2) هو سلمان الفارسى صاحب رسول الله ﷺ ، أبو عبدالله ، سابق الفرس إلى الإسلام ومناقبه كثيرة ، توفى سنة 36 هـ بالمدائن . ترجمته فى طبقات ابن سعد 4/ 54، وسير أعلام النبلاء 1/ 505.

(3) الأقرع بن حابس (1 3هـ/651م) هو : الأقرع بن حابس بن عقال المجاشعي الدارمي التميمي : صحابي ، من سادات العرب في الجاهلية . قدم على رسول الله ﷺ في وفد من بني دارم (من تميم) فأسلموا . وشهد حنينا وفتح مكة والطائف . وسكن المدينة . وكان من المؤلفة قلوبهم ، ورحل إلى دومة الجندل في خلافة أبي بكر . وكان مع خالد بن الوليد في أكثر وقائعه حتى اليمامة . واستشهد بالجوزجان . وفي المؤرخين من يرى أن اسمه (فراس) وأن الأقرع لقب له ، لقرع كان برأسه . وكان حكما في الجاهلية.ترجمته في الأعلام 2/ 5.

(4) هو : عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري . يكنى أبا مالك . أسلم بعد الفتح . وقيل : قبل الفتح وشهد الفتح مسلمًا وهو من المؤلفة قلوبهم ، وكان من الأعراب الجفاة . جاء إلى النبي ﷺ وعنده عائشة فقال : من هذه وذلك قبل أن ينزل الحجاب قال : «هذه عائشة» ، قال : أفلا أنزل لك عن أم البنين فتنكحها فغضبت عائشة وقالت : من هذا؟ فقال : رسول الله ﷺ : «هذا أحمق مطاع» يعني في قومه . الاستيعاب 1/ 387.

(5) هو : صهيب بن سنان بن مالك ، من بني النمر بن قاسط : صحابي ، من أرمى العرب سهما ، وله بأس . وهو أحد السابقين إلى الإسلام . كان أبوه من أشراف الجاهليين . ولاه كسرى على الأبلة (البصرة) وكانت منازل قومه في أرض الموصل ، على شط الفرات مما يلي الجزيرة والموصل ، وبها ولد صهيب ، فأغارت الروم على ناحيتهم ، فسبوا صهيبا وهو صغير ، فنشأ بينهم ، فكان ألكن .=

في ناس من ضعفاء المؤمنين، فلما رأوهم حوله حقروه، فأتوه فقالوا: يا رسول الله، لو جلست في صدر المسجد ونفيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم، وكان عليهم جباب صوف لم يكن عليهم غيرها، لجالسناك وأخذنا عنك. فقال النبي ﷺ: «**ما أنا بطارد المؤمنين**». قالوا: إنا نحب أن نجعل لنا مجلسا تعرف به العرب فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا مع هؤلاء الأعبد، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت. قال: نعم. فقالوا: اكتب علينا بذلك كتابا، فدعا بالصحيفة ودعا عليا ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ ليكتب، قال: ونحن قعود في ناحية إذ نزل جبريل عليه السلام بقوله: ﴿**وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ**﴾ إلى قوله: ﴿**بِٱلشَّٰكِرِينَ**﴾ [1]. فألقى رسول الله ﷺ الصحيفة من يده، ثم دعانا فأتيناه وهو يقول: السلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة، فكنا نقعد معه فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا، فأنزل الله عز وجل: ﴿**وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ**﴾ [2]. فكان رسول الله ﷺ يقعد معنا بعد وندنو منه حتى كادت ركبنا تمس ركبته، فإذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم وقال: «الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من

=واشتراه منهم أحد بني كلب وقدم به مكة، فابتاعه عبد الله بن جدعان التيمي، ثم أعتقه. فأقام بمكة يحترف التجارة، إلى أن ظهر الاسلام، فأسلم (ولم يتقدمه غير بضعة وثلاثين رجلا) فلما أزمع المسلمون الهجرة إلى المدينة، كان صهيب قد ربح مالا وفيرا من تجارته، فمنعه مشركو قريش، وقالوا: جئتنا صعلوكا حقيرا، فلما كثر مالك هممت بالرحيل؟ فقال: أرأيتم إن تركت مالي تخلون سبيلي؟ قالوا: نعم. فجعل لهم ماله أجمع. فبلغ النبي ﷺ ذلك، فقال: ربح صهيب، ربح صهيب!. وشهد بدرا وأحد والمشاهد كلها، وتوفي في المدينة.

ترجمته في: طبقات ابن سعد 3/ 161، وصفة الصفوة 1/ 169، وحلية الأولياء 1/ 151.

(1) سورة الأنعام، الآيتان: 52، 53.

(2) سورة الكهف، الآية: 28.

أمتي معكم المحيا والممات»[1].

عن أبي سعيد الخدري ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال: جلست في نفر من ضعفاء المهاجرين وإن بعضهم ليستتر ببعض من العري وقارئ يقرأ علينا إذ جاء رسول الله ﷺ، فقام علينا فلما قام رسول الله ﷺ سكت القارئ، فسلم رسول الله ﷺ فقال: «ما كنتم تصنعون؟» قلنا: يا رسول الله، كان قارئ يقرأ علينا فكنا نسمع إلى كتاب الله، فقال رسول الله ﷺ: «**الحمد لله الذي جعل من أمتي من أمرني أن أصبر على نفسي معهم**». قال: ثم جلس وسطنا ليعد نفسه فينا ثم قال بيده هكذا، فتحلقوا وبرزت وجوهم له قال: فما رأيت رسول الله ﷺ عرف منهم أحدا غيري فقال رسول الله ﷺ: «**أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالفوز التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك مقدار خمسمائة سنة**»[2].

وعن أبي هريرة ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال قال رسول الله ﷺ: «**يدخل الجنة الفقراء قبل الأغنياء بخمسمائة عام**»[3]. رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وعن سهل بن سعد الساعدي ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال: مَرَّ رجلٌ على النبي ﷺ فقال لرجل عنده جالس: «**ما رأيك في هذا؟**» فقال: رجل من أشراف الناس، هذا والله حري إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفع. فسكت رسول الله ﷺ، ثم مر رجل فقال له رسول الله ﷺ: «**ما رأيك في هذا؟**»

(1) تفسير البغوي 3/ 146.

(2) أخرجه أحمد (3/ 63، رقم 11622)، وأبو داود (3/ 323، رقم 3666)، وأبو يعلى (2/ 382، رقم 1151)، والبيهقي في الدلائل (1/352). وأخرجه أيضًا: البيهقي في شعب الإيمان (7/ 335، رقم 10492).

(3) أخرجه الترمذي (4/ 577، رقم 2351) وقال: حسن غريب.

قال: يا رسول الله، هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حري إن خطب ألا ينكح، وإن شفع ألا يشفع، وإن قال لا يسمع لقوله. فقال رسول الله ﷺ: «**هذا خير من ملء الأرض مثل هذا**». رواه البخاري ومسلم.

وقال ﷺ: «**رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره**»[1] رواه مسلم.

وقال ﷺ: «**قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين وأصحاب الجد محبوسون غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار، وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء**». رواه البخاري ومسلم[2].

والجد بفتح الجيم الحظ والغنى. وقوله: «**محبوسون**». أي: لم يؤذن لهم بعد في دخول الجنة.

وقال ﷺ: «**يؤتى بالعبد يوم القيامة فيعتذر الله إليه كما يعتذر الرجل إلى الرجل في الدنيا فيقول وعزتي وجلالي ما زويت الدنيا عنك لهوانك علي ولكن لما أعددت لك من الكرامة اخرج إلى هذه الصفوف فمن أطعمك أو كساك يريد بذلك وجهي فخذ بيده فهو لك**».

وقال ﷺ: «**طوبى لمن هدي إلى الإسلام وكان عيشه كفافا وقنع بما آتاه الله عز وجل**»[3].

---

(1) أخرجه مسلم (4/ 2024، رقم 2622).

(2) أخرجه أحمد (5/ 209، رقم 21874)، والبخارى (5/ 1994، رقم 4900)، ومسلم (4/ 2096، رقم 2736)، وابن حبان (2/ 467، رقم 692). وأخرجه أيضًا: الخطيب (5/149).

(3) أخرجه ابن المبارك فى الزهد (1/ 194، رقم 552)، والترمذى (4/ 576، رقم 2349) وقال: حسن صحيح. والطبرانى (18/ 305، رقم 786)، والحاكم (1/ 90، رقم 98) وقال: صحيح على شرط مسلم. وابن حبان (2/ 480، رقم 705)، وأخرجه أيضًا: أحمد (6/ 19، رقم 23989).

وعن أنس ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال : بعث الفقراء إلى رسول الله ﷺ رسولا فقال : يا رسول الله ، إني رسول الفقراء إليك . قال : «**مرحبا بك وبمن جئت من عندهم جئت من عند قوم أحبهم**» . فقال : يا رسول الله ، إن الفقراء يقولون لك : إن الأغنياء قد ذهبوا بالخير كله ـ وروى بعضهم ذهبوا بالجنة ـ وهم يحجون ولا نقدر عليه ، ويتصدقون ولا نقدر عليه ، ويعتقون ولا نقدر عليه ، وإذا مرضوا بعثوا بفضول أموالهم ذخرا لهم! فقال رسول الله ﷺ : «**بلغ الفقراء عني أن لمن صبر واحتسب منهم ثلاث خصال ليس للأغنياء منها شيء ؛ أما الخصلة الأولى فإن في الجنة غرفا من ياقوت أحمر ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الدنيا إلى النجوم ولا يدخلها إلا نبي فقير أو شهيد فقير أو مؤمن فقير ، والخصلة الثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو مقدار خمسمائة عام ، والخصلة الثالثة إذا قال الفقير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مخلصا وقال الغني مثل ذلك لم يلحق الغني بالفقير في فضله وتضاعف الثواب وإن أنفق الغني معها عشرة آلاف درهم ، وكذلك أعمال البر كلها**» . فرجع إليهم الرسول وأخبرهم بذلك فقالوا : رضينا يا رب رضينا .

وقال ﷺ : «**إن الله إذا أحب عبدا حماه الدنيا كما يحمي أحدكم مريضه**» [1].

وقيل : إن الله أوحى إلى موسى ـ عليه السلام ـ يا موسى ، إن من عبادي من لو سألني الجنة بحذافيرها لأعطيته ، ولو سألني علاقة سوط من الدنيا لم أعطه ، وليس ذلك من هوان له علي ، ولكن أريد أن أدخر له في الآخرة من كرامتي وأحميه من الدنيا ، كما يحمي الراعي غنمه من مراعي السوء [2].

(1) أخرجه أبو يعلى (12/ 278، رقم 6865) ، قال الهيثمى (285/10) : إسناده حسن .

(2) أورده الذهبى فى السير (483/15) وقال : غريب منكر وفى إسناده من لا يعرف . والقيسرانى فى=

وقال أبو مسلم الخولاني : ما طلبت شيئا من الدنيا قط فيأتي لي حتى لقد ركبت مرة حمارا فلم يمش فركبه غيري فعدا ، فرأيت في منامي قائلا يقول : لا يحزنك ما زوى الله عنك من الدنيا ، فإنما يفعل ذلك بأوليائه .

وقال ﷺ لبلال : «**القَ الله تعالى فقيرا ولا تلقه غنيا**» [1].

وقال ﷺ : «**لكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة حب الفقراء والمساكين لصبرهم ، هم جلساء الله يوم القيامة**» [2].

وقال ﷺ : «**اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين**» [3].

قال الشيخ الإمام العارف عبد الله بن أسعد اليافعي ـ رَحِمَهُ الله ـ : وناهيك بهذا الشرف للمساكين ولو قال ﷺ : واحشر المساكين في زمرتي . لكفاهم شرفا فكيف وقد قال : «**واحشرني في زمرة المساكين**» .

وقال ﷺ : «**إن الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال**» [4].

وقال ﷺ : «**من أصبح منكم معافى في جسمه وعنده قوت يومه فكأنما**

=تذكرة الحفاظ (3/ 866، ترجمة 837) مختصرا وقال : هذا خبر منكر وفى إسناده مجاهيل .

(1) أخرجه الطبرانى كما فى مجمع الزوائد (125/3) قال الهيثمى : فيه طلحة بن زيد القرشى وهو ضعيف . والحاكم (4/ 352، رقم 7887) وقال : صحيح الإسناد .

(2) رواه الدارقطني في غرائب مالك وأبو بكر ابن بلال في مكارم الأخلاق وابن عدي في الكامل وابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عمر .

(3) أخرجه عبد بن حميد (ص 308، رقم 1002) . وأخرجه أيضًا : ابن ماجه (2/ 1381، رقم 4126) . قال البوصيرى (218/4) : هذا إسناد ضعيف .

(4) أخرجه ابن ماجه (2/ 1380، رقم 4121) ، قال البوصيرى (216/4) : هذا إسناد ضعيف القاسم بن مهران لم يثبت سماعه من عمران وموسى بن عبيدة الربذى ضعيف . وأخرجه الطبرانى (18/ 242، رقم 607) والبيهقى فى شعب الإيمان (7/ 340، رقم 10509 مكرر) . وأخرجه أيضًا : الديلمى (1/ 156، رقم 571) .

حيزت له الدنيا» [1].

وفي الخبر: إذا رأيت الفقر فقل: مرحبا بشعار الصالحين، وإذا رأيت الغنى فقل: ذنب عجلت عقوبته.

وقال ﷺ: «**يقول الله تعالى يوم القيامة أين صفوتي من خلقي؟ فتقول الملائكة من هم يا ربنا؟ فيقول: فقراء المسلمين القانعون بعطائي الرضوان بقدري أدخلوهم الجنة. فيدخلونها فيأكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون**» [2].

وقال أبو الدرداء ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ: ذو الدرهمين أشد حبسا ـ أو قال: أشد حسابا ـ من ذي الدرهم.

وأرسل عمر ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ إلى سعيد بن عامر بألف دينار، فجاء إلى منزله كئيبا حزينا، فقالت امرأته: أحدث أمر؟ قال: أشد من ذلك، ثم قال: أريني درع الخلق فشقه وجعله صررا وفرقه، ثم قام يصلي ويبكي إلى الغداة، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام حتى إن الرجل من الأغنياء يدخل في غمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج**» [3].

وقيل: جاء فقير إلى مجلس الثوري ـ رَحِمَهُ الله ـ فقال له: تخط، لو كنت غنيا ما قربتك.

وكان الأغنياء من أصحابه يودون أنهم فقراء لكثرة تقريبه الفقراء وإعراضه عن الأغنياء.

---

(1) أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (289/10) قال الهيثمي: رجاله وثقوا على ضعف في بعضهم.

(2) تقدم تخريجه.

(3) تقدم تخريجه.

وقال المؤمل: ما رأيت الغني أذل منه في مجلس الثوري، ولا رأيت الفقير أعز منه في مجلس الثوري.

وقال بعض الحكماء: مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعا، ولو رغب في الجنة كما يرغب في الغنى لفاز بهما جميعا، ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين جميعا.

وقال ابن عباس: ملعون من أكرم الغني وأهان الفقير.

وقال لقمان لابنه: لا تحقرن أحدا لخلقان ثيابه؛ فإن ربك وربه الله واحد.

وقال يحيى بن معاذ: حبك للفقراء من أخلاق المرسلين وإيثارك لمجالستهم من علامات الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامات المنافقين.

وفي الأخبار عن الكتب السالفة: أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه احذر أن أمقتك فتسقط من عيني فأصب عليك الدنيا صبا.

وجاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم ـ رَحِمَهُ الله ـ بعشرة آلاف درهم فأبى عليه أن يقبلها فألح عليه الرجل فقال إبراهيم أتريد أن تمحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم؟!

وحكى السبتي ـ واسمه أحمد ـ أنه كان لهارون الرشيد ولد وقد بلغ من العمر ستة عشر سنة، وكان قد رافق الزهاد والعباد، وكان يخرج إلى المقابر ويقول: قد كنتم قبلنا وقد كنتم تملكون الدنيا، فما أراها منجيتكم وقد صرتم إلى قبوركم، فيا ليت شعري ما قلتم وما قيل لكم؟ ويبكي بكاء شديدا، فمر يوما على أبيه وعليه جبة صوف، وعلى رأسه مئزر صوف فقال بعض الوزراء: لقد فضح هذا الولد أمير المؤمنين بين الملوك! فقال له أبوه: يا بني لقد فضحتني بما أنت عليه، فنظر إليه ولم يجبه، ثم نظر إلى طائر على شرافة من شراريف القصر فقال: أيها الطائر بحق الذي خلقك إلا ما جئت على يدي فانقض الطائر على

كتفيه ثم قال له: ارجع إلى موضعك فرجع. فقال: بحق من خلقك إلا ما سقطت في كف أمير المؤمنين، فما نزل، فقال له الغلام: أنت الذي فضحتني بحبك الدنيا، ثم فارقه ولم يتزود منه بشيء إلا مصحفا وذهب إلى البصرة، وكان يعمل مع الفعلاء بالطين، وكان لا يعمل إلا يوم السبت بدرهم ودانق يتقوت كل يوم بدانق.

قال أبو عامر البصري: وكان قد وقع لي حائط فخرجت أطلب من يعمله فرأيت غلاما لم أر أحسن منه وجها وبين يديه زنبيل ومجرفة، وهو يقرأ في المصحف فقلت له: أتعمل؟ فقال: فيم أعمل؟ قلت: في الطين. قال: بدرهم ودانق وأصلي لصلاتي. قلت: لك ذلك. ثم مضيت به إلى العمل فعمل عمل عشرة رجال، فوزنت له درهمين، فأبى إلا درهما ودانقا، فلما كان من الغد خرجت إلى السوق فلم أجده فسألت عنه فقيل لي: لا يعمل إلا يوم السبت، فأخرت العمل إلى السبت الثاني، ثم أتيته فوجدته فقال لي مثل الأولى، فمضيت به إلى العمل فوقفت أنظر إليه من بعيد وهو لا يراني، فأخذ فكا من الطين وتركه على الحائط، وإذا الحجارة تتركب بعضها على بعض، قلت: هكذا أولياء الله يعاونون، فلما أراد أن ينصرف وزنت له ثلاثة دراهم فلم يقبل سوى درهم ودانق، فلما كان السبت الثالث جئت إلى السوق فلم أره، فسألت عنه فقيل لي: له ثلاثة أيام يعالج سكرات الموت فاستدليت عليه، فإذا هو في خرابة مغشيا عليه وتحت رأسه نصف لبنة، فسلمت عليه فعرفني فأخذت رأسه فجعلته في حجري فمنعني من ذلك وقال لي: إذا مت فغسلني وكفني في جبتي هذه. فقلت: يا حبيبي ولم لا أكفنك في ثياب جديدة؟ فقال: الحي أحوج إلى الجديد من الميت، الثياب تبلى والعمل يبقى، وخذ مئزري وزنبيلي فادفعهما إلى الحفار، وخذ هذا المصحف والخاتم وادفعهما إلى هارون الرشيد ولا تدفعهما إلا من يدك إلى يده، وقل له: يا أمير المؤمنين معي وديعة من غلام غريب وهو يقول لك: لا

تموتن على غفلتك، ثم خرجت روحه ـ رَحِمَهُ الله ـ فعلمت أنه ولد الخليفة، وعملت ما أوصاني به، وأخذت المصحف والخاتم، ودخلت بغداد وقصدت قصر هارون، فلما خرج قلت له: يا أمير المؤمنين، معي وديعة من غلام غريب، ثم دفعت إليه المصحف والخاتم وقلت له ما أوصاني به، فنكس رأسه وأسبل دمعته وأوصى علي بعض حجابه وقال: ليكن هذا عندك إلى أن أسألك عنه، فلما رجع أمر بالستور فرفعت ثم قال للحاجب: أين الرجل؟ فلما دخلت عليه قال: ادن مني. فدنوت منه، فقال: أتعرف ولدي؟ قلت: نعم. قال: في أي شيء كان يعمل؟ قلت: في الطين والحجارة. قال: أستعملته أنت؟ قلت: نعم. قال: أستعملته وله اتصال برسول الله ﷺ؟ فقلت: ما علمتُ مَن هو إلا عند وفاته! قال: أنت غسلته بيدك؟ قلت: نعم. قال: هات يدك فأخذها وتركها على صدره وهو يقول: بأبي كف كفنت الغريب العزيز، ثم ذهب إلى البصرة حتى انتهى إلى القبر، فلما رآه غشي عليه ثم أفاق، وجعل يبكي بكاء شديدا.

قال أبو عامر: فلما كان تلك الليلة قضيت وردي واضطجعت فرأيت قبة من نور عليها سجاف من نور، وإذا قد كشف السجاف فإذا الغلام ينادي: يا أبا عامر، جزاك الله عني خيرا. فقلت: إلى ماذا صرت إليه؟ قال: إلى رب راض غير غضبان، أعطاني ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وآلى على نفسه ألا يخرج عبد من الدنيا مثل خروجي إلا أكرمه مثل كرامتي، واستيقظت فرحا بما قال لي وبشرني به ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ ونفعنا به [1].

❊ ❊ ❊

(1) تفسير حقي 4/ 321.

الباب الثاني

في الزهـــد

وفيه خمسة فصول :

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

في فضله

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾. إلى قوله: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [1].

قال أبو رافع ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ: نزل برسول الله ﷺ ضيف فبعثني إلى يهودي فقال: إن رسول الله ﷺ يقول: «**بعني كذا من الدقيق أو أسلفني إلى هلال رجب**». فأتيته فقلت له ذلك فقال: والله لا أبيعه ولا أسلفه إلا برهن. فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: «**والله لئن باعني أو أسلفني لقضيته، وإني لأمين في السماء أمين في الأرض، اذهب بدرعي الحديد إليه**»[2] فنزلت هذه الآية ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ لا تنظر ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ﴾ أعطينا ﴿أَزْوَاجًا﴾ أصنافا ﴿مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: زينتها ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ أي: لنجعل ذلك فتنة لهم بأن أزيد لهم النعمة فيزيدوا كفرا وطغيانا ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ في المعاد يعني الجنة ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾.

عن أبي هريرة ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ عن النبي ﷺ: «**لا تغبطن فاجرا بنعمة فإنك لا تدري ما هو لاق بعد موته إن له عند الله قاتلا لا يموت**».[3] يعني: النار.

وقال ﷺ: «**إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والجسم فلينظر إلى**

---

(1) سورة طه، الآيتان: 131، 132.

(2) أخرجه البزار (9/ 315، رقم3863)، والطبرانى (1/ 331، رقم 989). قال الهيثمى (126/4): فيه موسى بن عبيدة الربذى، وهو ضعيف. وأخرجه أيضًا: الروياني (1/ 462، رقم 695).

(3) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (4/ 129، رقم 4542). وأخرجه أيضًا: البخارى فى التاريخ (232/2).

من دونه في المال والجسم» [1].

قال أبي بن كعب : من لم يتعزز بعزة الله تقطعت نفسه حسرات ومن يتبع بصره ما في أيدي الناس طال حزنه ومن ظن أن نعمة الله في مطعمه ومشربه وملبسه فقد قل علمه وحضر عذابه .

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ﴾ أي : قومك ، وقيل : من كان على دينك ، لقوله تعالى : ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ﴾[2] ﴿وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ أي : اصبر على الصلاة ؛ فإنها تنهي عن الفحشاء والمنكر ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا﴾ لا نكلفك أن ترزق أحدا من خلقنا ، ولا أن ترزق نفسك ، وإنما نكلفك عملا ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَـٰقِبَةُ﴾ الجميلة المحمودة ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾[3] أي : لأهل التقوى .

قال ابن عباس ـ رَضِيَ الله عَنْهُما ـ : الذين صدقوك واتبعوك واتقوني .

وكان رسول الله ﷺ إذا أصاب أهلَه ضرٌّ أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية .

وروى ابن ماجه وغيره أن رجلا قال : يا رسول الله ، دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس قال : «**ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس**» [4].

وعن عمرو بن الحارث ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال : ما ترك رسول الله ﷺ عند موته درهما ولا دينارا ولا عبدا ولا أمة ولا شيئا ، إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها ، وسلاحه وأرضا جعلها لابن السبيل صدقة . رواه البخاري [5].

---

(1) أخرجه هناد (2/ 417، رقم 818) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (4/ 137، رقم 4574) . وأخرجه أيضًا : الحميدى (2/ 459، رقم 1066) .

(2) سورة مريم ، الآية : 55.

(3) سورة طه ، الآيتان : 131، 132.

(4) تقدم تخريجه .

(5) البخاري (2739) .

وقال ﷺ: «**من اشتاق إلى الجنة سارع في الخيرات، ومن خاف من النار لها عن الشهوات، ومن ترقب الموت ترك اللذات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات**»[1].

وقال سفيان بن عيينة: الزهد ثلاثة أحرف زاي وهاء ودال، فمعنى الزاي: أن تترك زينة الدنيا، ومعنى الهاء: أن تترك هواها، ومعنى الدال: أن تترك الدنيا بأسرها، فإذا كان هكذا حينئذ سمي زاهدا.

وقال إبراهيم بن أدهم: الزهد ثلاثة أصناف؛ فزهد فرض، وزهد فضل، وزهد سلامة، فالزهد الفرض: الزهد في الحرام، والزهد الفضل: الزهد في الحلال، والزهد السلامة: الزهد في الشبهات.

وقال أحمد بن حنبل ـ رَحِمَهُ الله ـ: الزهد على ثلاثة أوجه: ترك الحرام، وهو زهد العوام، والثاني ترك الفضول من الحلال، وهو زهد الخواص، والثالث ترك ما يشغل العبد عن الله ـ عز وجل ـ وهو زهد العارفين.

وقال الشافعي ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ: خير الدنيا والآخرة في خمس خصال؛ غنى النفس، وكف الأذى، وكسب الحلال، ولباس التقوى، والثقة بالله ـ عز وجل ـ على كل حال.

❊ ❊ ❊

(1) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان عن على.

الفصل الثاني

في المطعم

عن عائشة ـ رَضِيَ الله عَنْها ـ قالت : ما شبع آل محمد من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض . رواه البخاري ومسلم[1].

وعن عروة عن عائشة ـ رَضِيَ الله عَنْها ـ أنها كانت تقول : والله يا ابن أختي ، إن كنا لننظر إلى الهلال ، ثم الهلال ، ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين ، وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار . قلت : يا خالة ، وما كان يعيشكم؟ قالت : الأسودان التمر والماء ، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار ، وكانت لهم منائح ، فكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقينا . رواه البخاري ومسلم[2].

وعن أبي هريرة ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ أنه قال : خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير[3] . رواه البخاري .

وعن النعمان بن بشير ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال : لقد رأيت نبيكم ﷺ ما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه[4]. رواه مسلم . والدقل تمر رديء .

وعن أنس ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ أنه مشى إلى النبي ﷺ بخبز شعير وإهالة

(1) البخاري (5374) ، ومسلم (7635) .

(2) البخاري (2567) ، ومسلم (7642) .

(3) البخاري (5414) .

(4) مسلم (4/ 2285، رقم 2978) ، وأخرجه الطيالسي (ص 12، رقم 57) ، وأحمد (1/ 24، رقم 159) ، وابن ماجه (2/ 1388، رقم 4146) ، وأبو يعلى (1/ 194، رقم 223) ، وابن حبان (14/ 253، رقم 6342) ، وابن سعد (406/1) ، وعبد بن حميد (ص 37، رقم 22) ، والبزار (1/ 354، رقم 237) .

سنخة ، ولقد رهن النبي ﷺ درعا له بالمدينة عند يهودي وأخذ منه شعيرا لأهله ، ولقد سمعته يقول : «**ما أمسى عند آل محمد صاع بر ولا صاع حب وإن عنده لتسع نسوة**» [1].

وعن فضالة بن عبيد ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى بالناس يخر رجال من إقامتهم في الصلاة من الخصاصة ، وهم أصحاب الصُّفَّة حتى يقول الأعراب : هؤلاء مجانين . فإذا صلى رسول الله ﷺ انصرف إليهم وقال : «**لو تعلمون ما لكم عند الله لأحببتم أن تزدادوا فاقة وحاجة**» . صححه الترمذي [2].

ويروى عن أنس قال : جاءت فاطمة ـ رَضِيَ الله عَنْها ـ بكسرة خبز إلى رسول الله ﷺ فقال : «**ما هذه الكسرة؟**» قالت : قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة فقال : «**أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام**» [3].

وقيل : كان إبراهيم بن أدهم ـ رَحِمَهُ الله ـ من أهل النعم بخراسان ، فبينما هو يشرف من قصر له ذات يوم إذ نظر إلى رجل في فناء القصر بيده رغيف يأكله ، فلما أكل نام ، فقال لبعض غلمانه : إذا قام فجئني به . فلما قام جاء به إليه ، قال إبراهيم : أيها الرجل أكلت الرغيف وأنت جائع؟ فقال : نعم . قال : فشبعت؟ قال : نعم . قال : ثم نمت طيبا؟ قال : نعم . قال إبراهيم في نفسه : فما

(1) البخاري (2069) .

(2) أخرجه الترمذى (4/ 583، رقم 2368) ، وقال : صحيح . والطبرانى (18/ 310، رقم 798) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (7/ 318، رقم 10440) .

(3) أخرجه الطبرانى (1/ 258، رقم 750) . وأخرجه أيضًا : ابن سعد (400/1) ، وأحمد (3/ 213، رقم 13246) ، والضياء (7/ 166، رقم 2596) . قال الهيثمى (312/10) : رواه أحمد والطبرانى ، ورجالهما ثقات .

أصنع أنا بالدنيا؟ النفس تقنع بهذا القدر .

ومر رجل بعامر بن عبد قيس وهو يأكل ملحا وبقلا ، فقال له : يا عبد الله ، أرضيت من الدنيا بهذا القدر؟ فقال : ألا أدلك على من رضي بشر من هذا؟ قال : بلى . قال : من رضي بالدنيا عوضا عن الآخرة .

وكان محمد بن واسع يخرج خبزا يابسا فيبله بالماء ويأكله بالملح ويقول : من رضي من الدنيا بهذا لم يحتج إلى أحد .

وكان أبو ذر جالسا في الناس فأتته امرأته فقالت له : تجلس بين هؤلاء؟ والله ما في البيت هفة ولا سفة . فقال : يا هذه إن بين أيدينا عقبة كئودا لا ينجو منها إلا كل مخف فرجعت وهي راضية .

❊ ❊ ❊

الفصل الثالث

في اللبس

عن أبي هريرة ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال : لقد رأيت سبعين من أهل الصفة ما منهم رجل عليه رداء إما إزار وإما كساء قد ربطوا في أعناقهم منها ما يبلغ الكعبين فجمعه بيده كراهية أن ترى عورته . رواه البخاري [1].

وعن عائشة ـ رَضِيَ الله عَنْها ـ قالت : كان فراش رسول الله ﷺ من أدم حشوه ليف . رواه البخاري [2].

وفي **الصحيحين** عن أبي موسى الأشعري ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال : أخرجت لنا عائشة كساء وإزارا غليظين قالت : قبض رسول الله ﷺ في هذين .

وعن عائشة ـ رَضِيَ الله عَنْها ـ قالت : قال لي رسول الله ﷺ : «**إن أردت اللحوق بي فليكفك من الدنيا كزاد الراكب وإياك ومجالسة الأغنياء ولا تستخلقي ثوبا حتى ترقعيه**» [3].

وروي أن النبي ﷺ اشترى ثوبا بأربعة دراهم وكان قيمة ثوبيه عشرة ، وعد على قميص لعمر ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ اثنتا عشرة رقعة بعضها من أدم ، واشترى علي رضى الله عنه ثوبا بثلاثة دراهم ولبسه وهو في الخلافة وقطع كميه من الرسغين ، وقال بعضهم : قومت ثوبي سفيان ونعليه بدرهم وأربعة دوانق .

---

(1) البخاري (442) .

(2) البخاري (6456) ، ومسلم (5568) .

(3) أخرجه الترمذى (4/ 245، رقم 1780) ، والحاكم (4/ 347، رقم 7867) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (5/ 157، رقم 6181) . وأخرجه أيضًا : ابن سعد (76/8) .

الفصل الرابع

في المسكن

روى أبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رَضِيَ الله عَنْهُما ـ قال : مر علينا رسول الله ﷺ ونحن نعالج خُصًّا لَنَا ، فقال : «**ما هذا؟**» فقلنا : قد وهي فنحن نصلحه ، فقال : «ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك» [1].

وقال الحسن ـ رَحِمَهُ الله ـ : مات رسول الله ﷺ ولم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة .

وقال ﷺ : «**من بنى فوق ما يكفيه كلف أن يحمله يوم القيامة**» [2].

وفي الخبر : كل نفقة يؤجر عليها العبد إلا ما أنفقه في الماء والطين .

وقال ﷺ : «**كل بناء وبال على صاحبه يوم القيامة إلا ما كان من حر أو برد**» [3].

وروي أن نوحا عليه السلام اتخذ بيتا من قصب فقيل له : لو بنيت؟ فقال : هذا كثير لمن يموت .

وعن الحسن قال لما بنى رسول الله ﷺ المسجد قال : «**ابنوه عريشا**[4]

(1) أبو داود (5238) ، والترمذي (2506) .

(2) أخرجه الطبرانى (10/ 151، رقم 10287) قال الهيثمى (70/4) : فيه المسيب بن واضح وثقه النسائى وضعفه جماعة . والبيهقى فى شعب الإيمان (7/ 391، رقم 10711) ، وابن عساكر (115/53) .

(3) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (10301) .

(4) العريش : كل ما يستظل به .

كعريش موسى»[1]. قيل للحسن: وما عريش موسى؟ قال: إذا رفع يده بلغ العريش يعني السقف. رواه ابن أبي الدنيا[2].

وعن عمار بن عامر قال: إذا رفع الرجل بناء فوق سبعة أذرع نودي يا أفسق الفاسقين إلى أين؟ رواه ابن أبي الدنيا موقوفا عليه ورفعه بعضهم، قال المنذري: ولا يصح.

وقال ﷺ: «**كل معروف صدقة، وما أنفق الرجل على أهله كتبت له صدقة وما وقى به المرء عرضه كتبت له به صدقة وما أنفق المؤمن من نفقة فإن خلفها على الله والله ضامن إلا ما كان في بنيان أو معصية**»[3].

قيل لابن المنكدر: وما وقى به المرء عرضه؟ قال: ما يعطي الشاعر **وذا اللسان المتقى**. رواه الدارقطني والحاكم وصحح إسناده[4].

وقال الحسن: دخلنا على صفوان بن محيريز وهو في بيت من قصب قد مال

(1) أخرجه الديلمي (3/ 52، رقم 4136).

(2) في قصر الأمل (277).

(3) من حديث حذيفة: أخرجه أحمد (5/ 397، رقم 23418)، ومسلم (2/ 697، رقم 1005)، وأبو داود (4/ 287، رقم 4947)، وابن حبان (8/ 172، رقم 3378). وأخرجه أيضًا: ابن أبى شيبة (5/ 220، رقم 25426)، والبيهقى فى شعب الإيمان (3/ 205، رقم 3330).

ومن حديث ابن مسعود: أخرجه أيضًا: الشاشى (1/ 348، رقم 330)، والقضاعى (1/ 87، رقم 89).

ومن حديث أبى مسعود: أخرجه الطبرانى (17/ 230، رقم 639)، قال الهيثمى (136/3): رجاله رجال الصحيح.

ومن حديث جابر: أخرجه أحمد (3/ 360، رقم 14920). وأخرجه أيضًا: البخارى (5/ 2241، رقم 5675)، وعبد بن حميد (ص 327، رقم 1083)، وابن حبان (8/ 172، رقم 3379).

ومن حديث عبد الله بن يزيد: أخرجه أيضًا: أحمد (4/ 307، رقم 18763). قال الهيثمى (3/ 136): رواه أحمد، والطبرانى فى الكبير، ورجال أحمد ثقات.

ومن حديث عدى بن ثابت عن أبيه عن جده: أخرجه الطبرانى (22/ 387، رقم 964).

(4) المستدرك 2/ 309.

عليه فقيل له لو أصلحته قال كم من رجل قد مات وهذا قائم.

وقيل في قوله تعالى ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾[1] إنه الرياسة والتطاول في البنيان.

ونظر عمر ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ في طريق الشام إلى صرح قد بني بجص وآجر فكبر وقال ما كنت أظن أن يكون في هذه الأمة من يبني بنيان هامان لفرعون.

حكاية:

قال ابن الجوزي في **روضة المشتاق**: رأى ذو النون المصري ـ رَحِمَهُ الله ـ رجلا قد اشترى دارا وهو يشهد في كتابها فقال: عجبت لمن يشتري دارا تفنى وثيابا تبلى. ثم قال له: يا هذا، ما لك ما اشتريت من مولاك دارا في دار السلام ومجاورة السادة الكرام فنلت الأمان وحللت محلا لا يقوم بنعمته الثقلان، دار لها حدود أربعة؛ **فالأول منها**: ينتهي إلى منازل الخائفين، **والثاني**: إلى قباب المشتاقين، **والثالث**: إلى ميدان الباكين، **والرابع**: إلى رياض المحبين، سمكها عرش الرحمن، ونورها من نور الرضوان، يشرع بابها إلى قباب مضروبة، وخيام منصوبة، صفة عقد شرائها: هذا ما اشترى العبد التواب من المولى القابل الوهاب اشترى منه هذه الدار بخروجه من ذل المعاصي إلى عز الطاعة ومن تعب الحرص والطمع إلى دار ساحة الزهد والورع، شهد بذلك العقل واللسان وما نطق به القرآن قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[2].

(1) سورة القصص، الآية: 83.

(2) سورة التوبة، الآية: 111.

الفصل الخامس

في الأثاث

عن عمر ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال: دخلت على رسول الله ﷺ فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش قد أثّر الرمال بجنبه متكئا على وسادة من أدم حشوها ليف، قلت: يا رسول الله، ادع ليوسع على أمتك؛ فإن فارس والروم قد وسع عليهم وهم لا يعبدون الله، فقال: «**أوفي شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة**»[1].

وروي أن عيسى عليه السلام كان لا يصحبه إلا مشط وكوز، فرأى إنسانا يمشط لحيته بأصابعه فرمي المشط، ورأى آخر يشرب من النهر بكفيه فرمى الكوز.

ودخل رجل على أبي ذر ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ فجعل يقلب بصره في بيته فقال: يا أبا ذر، ما أرى في بيتك متاعا ولا غير ذلك من الأثاث؟ فقال: إن لنا بيتا نوجه إليه صالح متاعنا قال: إنه لا بد لك من متاع ما دمت ههنا، فقال: إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه.

ولما قدم عمير بن سعد أمير حمص على عمر بن الخطاب ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال له: ما معك من الدنيا؟ قال: معي عصاي أتوكأ عليها وأقتل بها حية إن

(1) أخرجه ابن سعد (182/8)، وأحمد (1/ 33، رقم 222)، والبخارى (2/ 871، رقم 2336)، ومسلم (2/ 1111، رقم 1479)، والترمذى (5/ 420، رقم 3318) وقال: حسن صحيح. والنسائى (4/ 137، رقم 2132)، وابن حبان (9/ 492، رقم 4187).

لقيتها، ومعي جرابي أحمل فيه طعامي، ومعي قصعتي آكل فيها وأغسل فيها رأسي وثوبي، ومعي مطهرتي أحمل فيها شرابي ووضوئي للصلاة، فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معي. فقال عمر: صدقت رحمك الله.

وقال علي ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ: تزوجت فاطمة ـ رَضِيَ الله عَنْها ـ وما لي ولها فراش إلا جلد كبش كنا ننام عليه بالليل ونعلف عليه الناضح بالنهار وما لي خادم غيرها ولقد كانت تعجن وإن قصعتها لتضرب حرف الجفنة من الجهد الذي بها.

وقال عمران بن الحصين ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ: كانت لي من رسول الله ﷺ منزلة وجاه فقال: «**يا عمران، إن لك منزلة وجاها عندنا، فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله** ﷺ؟» فقلت: نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فقام وقمت حتى وقفت بباب فاطمة ـ رَضِيَ الله عَنْها ـ فقرع الباب وقال: «**السلام عليكم أدخل؟**» فقالت: ادخل بأبي أنت وأمي. قال: «**أنا ومن معي؟**» قالت: ومن معك يا رسول الله؟ قال: «**عمران**» فقالت فاطمة: والذي بعثك بالحق نبيا ما علي إلا عباءة. قال: «**اصنعي بها هكذا وهكذا**» وأشار بيده فقالت: هذا جسدي قد واريت فكيف برأسي؟ فألقى إليها ملاءة كانت عليه خليعة فقال: «**شدي بها على رأسك**». ثم أذنت له فدخل فقال: «**السلام عليكم يا بنتاه كيف أصبحت؟**» فقالت: أصبحت والله وجعة وزادني وجعا على ما بي أني لست أقدر على طعام آكله، فقد أضر بي الجوع، فبكى النبي ﷺ وقال: «**لا تجزعي يا بنتاه فوا لله ما ذقت طعاما منذ ثلاث وإني لأكرم على الله منك ولو سألت الله ربي لأطعمني ولكن آثرت الآخرة على الدنيا**». ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها: «**أبشري فوا لله إنك لسيدة نساء أهل الجنة**» قالت: فأين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران؟ قال: «**آسية سيدة نساء عالمها، ومريم سيدة نساء عالمها،**

وخديجة سيد نساء عالمها ، وأنت سيدة نساء عالمك ، وإنكن في بيوت من قصب لا أذى فيها ولا صخب ولا نصب» ثم قال لها : «**اقنعي بابن عمك فوا لله لقد زوجتك سيدا في الدنيا وسيدا في الآخرة»** .

وفي الخبر : أنهم لم يكن لهم في البيت إلا كساء كانوا إذا غطوا به رءوسهم انكشفت أرجلهم ، وإذا غطوا به أرجلهم انكشفت رءوسهم ، وفي الليلة التي كانت فاطمة ـ رَضِيَ الله عَنْها ـ عروسا وزفت إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ كان تحتها جلد شاة كانا ينامان عليه ، وما كان لفاطمة من متاع البيت سوى كساءة ومخدة من ليف ، لا جرم ينادي لها يوم القيامة : يا أهل الموقف غضوا أبصاركم حتى تعبر سيدة النساء فاطمة الزهراء ، رَضِيَ الله عَنْها .

❊ ❊ ❊

باب التقوى

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [1]. أي: بأن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، ولا يأخذه فيه لومة لائم، ويقوم بالقسط ولو على أبيه وابنه.

وقوله ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [2]. مبين للمراد من الأولى، أي: بالغوا في التقوى فلا تتركوا من المستطاع منها شيئا.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [3]. اتقوا تحرزوا واتركوا ما نهى الله عنه، وأحسنوا الطاعة فافعلوا ما أمر الله به.

وفي **الصحيح** في سؤال جبريل عليه السلام للنبي ﷺ قال يا رسول الله ما الإحسان؟ قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» [4].

والله تعالى مع خلقه بعلمه وقدرته، ومعناه أنه عالم بالكل قادر على الكل؛ قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [5] والله سبحانه وتعالى مع المؤمنين بحفظه ونصرته؛ قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ

(1) سورة آل عمران، الآية: 102.

(2) سورة التغابن، الآية: 16.

(3) سورة النحل، الآية: 128.

(4) من حديث أبي هريرة: أخرجه أحمد (2/ 426، رقم 9497)، والبخارى (1/ 27، رقم 50)، ومسلم (1/ 39، رقم 9)، وابن ماجه (1/ 25، رقم 64).

ومن حديث أبي هريرة وأبي ذر: أخرجه النسائى (8/ 101، رقم 4991).

ومن حديث عمر: أخرجه مسلم (1/ 36، رقم 8)، وأبو داود (4/ 223، رقم 4695)، والترمذى (5/ 6، رقم 2610)، وقال: حسن صحيح. والنسائى (8/ 97، رقم 4990).

(5) سورة الحديد، الآية: 4.

مَعَكُمۡ﴾ [1]. ومع خواص العارفين بإلهامهم لذكره وترويح أسرارهم في نعيم حضرته .

قيل لبعض الصالحين عند موته : أوصنا . قال : عليكم بآخر آية في سورة النحل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [2].

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : أوصني يا رسول الله . قال : «**عليك بتقوى الله فإنها جماع كل خير وعليك بالجهاد فإنه رهبانية المسلمين وعليك بذكر الله فإنه نور لك في الأرض وذكر لك في السماء واخزن لسانك إلا من خير فإن بذلك تغلب الشيطان**» [3].

وروى الترمذي عن أبي ذر ومعاذ بن جبل ـ رَضِيَ الله عَنْهُما ـ عن رسول الله ﷺ قال : «**اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن**» [4].

وفي **صحيح مسلم** عن ابن مسعود ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ عن النبي ﷺ أنه كان يقول «**اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى**» [5].

---

(1) سورة محمد ، الآية : 35.

(2) سورة النحل ، الآية : 128.

(3) أخرجه أبو يعلى (2/ 283، رقم 1000) ، والخطيب (392/7) . وأخرجه أيضًا : الطبرانى فى الصغير (2/ 156، رقم 949) قال الهيثمى (301/10) : فيه ليث بن أبى سليم وهو مدلس وقد وثق هو وبقية رجاله .

(4) أخرجه أحمد (5/ 153، رقم 21392) ، والترمذى (4/ 355، رقم 1987) وقال : حسن صحيح . والدارمى (2/ 415، رقم 2791) ، والحاكم (1/ 121، رقم 178) وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبى . والبيهقى فى شعب الإيمان (6/ 245، رقم 8026) . وأخرجه أيضًا : البزار (416/9 رقم 4022) وأبو نعيم فى الحلية (378/4) .

(5) أخرجه ابن أبى شيبة (6/ 24، رقم 29192) ، وأحمد (1/ 416، رقم 3950) ، ومسلم (4/ 2087، =

وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾[1] فأبيتم إلا فلان بن فلان وفلان أغنى من فلان فاليوم أضع نسبكم وأرفع نسبي أين المتقون؟ فينصب للقوم لواء فيتبعون لواءهم إلى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب .

وسأل رجل عيسى عليه السلام : أي الناس أفضل؟ فأخذ قبضتين من تراب فقال : أي هاتين أفضل الناس؟ خلقوا من تراب فأكرمهم أتقاهم .

وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله**»[2].

وقال تعالى ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا * وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾[3] قال أكثر المفسرين : نزلت في عوف بن مالك الأشجعي ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ أسر العدو ابنه فأتى النبي ﷺ فذكر له ذلك وشكا إليه الفاقة أيضا ، فقال له : «**اتق الله واصبر وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله**» ففعل الرجل ذلك فبينما هو في بيته إذ أتاه ابنه وقد غفل عنه العدو فأصاب إبلا وجاء به إلى أبيه[4].

وعن ابن عباس ـ رَضِيَ الله عَنْهُما ـ قال : قرأ رسول الله ﷺ : ﴿وَمَن يَتَّقِ

= رقم 2721) ، والترمذى (5/ 522، رقم 3489) وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (2/ 1260، رقم 3832) . وأخرجه أيضًا : الطيالسى (ص 39، رقم 303) ، وابن حبان (3/ 182، رقم 900) ، والديلمى (1/ 457، رقم 1856) .

(1) سورة الحجرات ، الآية : 13.

(2) من حديث طويل أخرجه الطبرانى (10/ 320، رقم 10781) والحاكم (4/ 301، رقم 7707) وقال : صحيح . قال الذهبى : هشام متروك ومحمد بن معاوية كذبه الدارقطنى فبطل الحديث . والبيهقى (7/ 272، رقم 14365) وقال : وروى ذلك أيضًا عن هشام بن زياد أبى المقدام عن محمد بن كعب ، وروى من وجه آخر منقطع عن محمد بن كعب ولم يثبت فى ذلك إسناد . وابن عساكر (132/55) .

(3) سورة الطلاق ، الآيتان : 2، 3.

(4) تفسير البغوي 8/ 151.

ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ قال: «**من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت وشدائد يوم القيامة**» [1].

وروي أن حاتما الأصم كان تلميذ الشقيق البلخي ـ رحمهما الله ـ قال له يوما: يا حاتم منذ كم صحبتني؟ قال حاتم: منذ ثلاث وثلاثين سنة. قال: فما تعلمت مني في هذه المدة؟ قال: ثمان مسائل. قال شقيق: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب عمري معك ولم تتعلم إلا ثمان مسائل! فما هي؟ قال:

الأولى: نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد يحب شيئا، فلا يزال محبوبه معه فإذا ذهب إلى قبره فارقه، فجعلت الحسنات محبوبي، فإذا دخلت قبري دخل محبوبي معي.

قال: أحسنت، فما الثانية؟

قال: نظرت في قول الله عز وجل: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ۝٤١﴾ [2]. فعلمت أن قوله تعالى حق، فأجهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى.

الثالثة: أني نظرت إلى هذا الخلق، فرأيت كل من معه شيء له قيمة وله عنده مقدار يحفظه، ثم نظرت في قول الله عز وجل: ﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ﴾ [3]. فكل ما وقع لي شيء له قيمة ومقدار وجهته إلى الله تعالى ليبقى لي عنده.

الرابعة: نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع إلى المال والحسب والشرف والنسب، فنظرت فإذا هي لا شيء، ثم نظرت إلى قوله

(1) أخرجه أبو يعلى وأبو نعيم والديلمي ـ كما في الدر المنثور 10/ 33.

(2) سورة النازعات، الآيتان: 39، 40.

(3) سورة النحل، الآية: 96.

تعالى : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1] فعملت على التقوى حتى أكون عند الله كريما .

الخامسة : نظرت إلى هذا الخلق فوجدت بعضهم يطعن في بعض ، ويلعن بعضهم بعضا ، فعلمت أن أصل ذلك كله الحسد ، فنظرت إلى قوله تعالى : ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[2] فتركت الحسد وعداوة الخلق ، وعلمت أن الذي قسم لي كائن لا بد منه .

السادسة : نظرت إلى هذا الخلق يبغي بعضهم على بعض ويعادي بعضهم بعضا ، فنظرت إلى عدوي في الحقيقة فإذا هو الشيطان ، وقد قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾[3] فعاديته وأحببت الناس أجمعين .

السابعة : نظرت إلى الخلق فوجدتهم يطلبون هذه الكثرة ويذلون أنفسهم بسببها ثم نظرت إلى قوله تعالى ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[4]. فعلمت أني من جملة المرزوقين فاشتغلت بالله عز وجل وتركت ما سواه .

الثامنة : نظرت إلى هذا الخلق فرأيتهم يتوكل بعضهم على بعض ويتكل هذا على تجارته وهذا على صنعته وهذا على صحة بدنه وكل مخلوق يتكل على مخلوق فرجعت إلى قوله عز وجل ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ﴾[5] فتوكلت على الله عز وجل .

فقال شقيق : وفقك الله يا حاتم ، فلقد جمعت الأمور كلها .

(1) سورة الحجرات ، الآية : 13.
(2) سورة الزخرف ، الآية : 32.
(3) سورة فاطر ، الآية : 6.
(4) سورة هود ، الآية : 6.
(5) سورة الطلاق ، الآية : 3.

باب التوكل

قال الله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [1].

وقال أبو ثور سمعت الشافعي ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ : يقول نزه الله نبيه ورفع قدره فقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ وذلك أن الناس في التوكل على أحوال شتى متوكل على نفسه، أو على ماله، أو على جاهه، أو على سلطانه، أو على غلته، أو على الناس، وكل مستند إلى حي يموت، أو إلى ذاهب يوشك أن ينقطع فنزه الله نبيه وأمره أن يتوكل على الحي الذي لا يموت، وقال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [3].

وعن عمر ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا**» رواه الترمذي وقال: حديث حسن [4].

وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفا لا حساب عليهم**» وقال: «**هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى**

(1) سورة الفرقان، الآية: 58.

(2) سورة التوبة، الآية: 51.

(3) سورة الطلاق، الآية: 3.

(4) الترمذى (4/ 573، رقم 2344)، وأخرجه ابن المبارك فى الزهد (ص 196، رقم 559)، والطيالسى (ص 11، رقم 51)، وأحمد (1/ 30، رقم 205)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (2/ 1394، رقم 4164)، وأبو يعلى (1/ 212، رقم 247)، وابن حبان (2/ 509، رقم 730)، والحاكم (4/ 354، رقم 7894)، وقال: صحيح الإسناد. والبيهقى فى شعب الإيمان (2/ 66، رقم 1182)، والضياء (1/ 333، رقم 227) وقال: إسناده صحيح.

ربهم يتوكلون» [1].

قال الخطابي : هذا فيمن تركها توكلا على الله تعالى ورضي بقضائه وبلائه . قال : وهذا من أرفع درجات المحققين بالإيمان ، وإلى هذا ذهب جماعة سماهم .

قال النووي : والظاهر ما اختاره الخطابي وحاصله أن هؤلاء كمل تفويضهم إلى الله عز وجل فلم يتسببوا في دفع ما أوقعه بهم ولا شك في فضيلة هذه الحالة ورجحان صاحبها وأما تطببه ﷺ فعله لبيان الجواز .

قال القشيري ـ رَحِمَهُ الله ـ : اعلم أن التوكل محله القلب ، وأما الحركة بالظاهر فلا تنافي التوكل بالقلب بعد تحقق العبد أن الثقة من قبل الله تعالى ، فإن تعسر شيء فبتقديره وإن تيسر فبتيسيره [2].

وقال ﷺ : «**من انقطع إلى الله كفاه كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع إلى الدنيا وكل إليها**» [3].

وقال ﷺ : «**من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه مما في يده**» .

وقال ﷺ : «**ما من زرع على أرض ولا ثمار على أشجار إلا عليها مكتوب**

(1) أخرجه أحمد (5/ 268، رقم 22357) ، والترمذي (4/ 626، رقم 2437) وقال : حسن غريب . والطبراني (8/ 110، رقم 7520) ، وابن حبان (16/ 230، رقم 7246) ، والدارقطني في الصفات (1/ 37، رقم 50) . وأخرجه أيضًا : ابن ماجه (2/ 1433، رقم 4286) ، والمحاملي (1/ 265، رقم 60) ، والديلمي (4/ 382، رقم 7113) .

(2) الرسالة القشيرية 1/ 76.

(3) ذكره الحكيم (13/4) ، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (2/ 120، رقم 1351) . وأخرجه أيضًا : الطبراني في الأوسط (346/3 رقم 3359) قال الهيثمي (303/10) : وفيه إبراهيم بن الأشعث صاحب الفضيل وهو ضعيف وقد ذكره ابن حبان في الثقات وقال يغرب : ويخطئ ويخالف وبقية رجاله ثقات ، وفي الصغير (201/1 رقم 321) ، والقضاعي (1/ 298، رقم 493) .

بسم الله الرحمن الرحيم هذا رزق فلان ابن فلانة»[1] . وذلك قوله تعالى في محكم كتابه : ﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا﴾[2] الآية .

وفي **صحيح مسلم** عن ابن عباس ـ رَضِيَ الله عَنْهُما ـ أن رسول الله ﷺ كان يقول : «**اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت اللهم أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني أنت الحي القيوم الذي لا يموت والجن والإنس يموتون**» [3].

وفي **صحيح البخاري** عنه ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال : حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار ، وقالها محمد ﷺ حين قالوا : ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [4].

ويروى أنه كان من دعائه ـ عليه السلام ـ : «**اللهم إني أسألك التوفيق لمحابك من الأعمال ، وصدق التوكل عليك وحسن الظن بك**» [5].

وعن أنس ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «**من قال ـ يعني إذا خرج من بيته ـ : بسم الله توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . يقال له : هديت وكفيت**[6] ووقيت وتنحى عنه الشيطان[7]» .رواه أبو داود والنسائي والترمذي وقال : حديث حسن صحيح . زاد أبو داود «فيقول ـ يعني الشيطان ـ

(1) أخرجه الخطيب في تاريخه بسند ضعيف عن ابن عمر ـ كما في الدر المنثور 4/ 64.

(2) سورة الأنعام ، الآية : 59.

(3) أخرجه مسلم (4/ 2086، رقم 2717) . وأخرجه أيضًا : أحمد (1/ 302، رقم 2748) ، وابن حبان (3/ 180، رقم 898) ، والديلمى (1/ 444، رقم 1812) .

(4) سورة آل عمران ، الآية : 173.

(5) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (224/8) .

(6) هُدِيتَ وَكُفِيتَ وَوُقِيتَ : هديت إلى طريق الحق ، وكفيت همك ، ووقيت : حفظت من الشر .

(7) فيتنحى له : تبتعد عنه الشياطين .

لشيطان آخر كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي؟»[1].

وعنه ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال: كان أخوان على عهد رسول الله ﷺ، فكان أحدهما يأتي النبي ﷺ والآخر يحترف، فشكا المحترف أخاه إلى النبي ﷺ فقال: «**لعلك ترزق به**». رواه الترمذي[2].

وقال بعضهم: متى رضيت بالله وكيلا، وجدت إلى كل خير سبيلا.

وقال الإمام فخر الدين الرازي: فرِّغْ خاطرَك عن طلب الرزق، وتيقن أنه تعالى إذا سد عليك طريقا فتح لك طريقا آخر أجود من الأول، انظر إلى الجنين فإنه يأتيه غذاؤه وهو الدم من طريق واحد وهو السرة، فلما خرج من بطن أمه انقطع ذلك الطريق وانفتح طريقان آخران، وهما الثديان وخرج منهما غذاؤه طاهر لطيف نظيف يخرج ﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ﴾ ليعلم أن مهما انسد طريق واحد فتح الله طريقين آخرين أحسن وأنفع من الأول، ثم إذا تم الحولان وتم هذا الرضاع انقطع هذان الطريقان، ولكن فتح الله له طرقا أربعة طعامان وشرابان؛ أما الطعامان فالنبات والحيوان وأما الشرابان فالمياه والألبان، ثم إذا مات الإنسان انقطع عنه هذه الطرق الأربعة، ولكن الله بفضله ورحمته يفتح له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء.

❊ ❊ ❊

(1) أخرجه أبو داود (4/ 325، رقم 5095)، والنسائى فى الكبرى (6/ 26، رقم 9917)، وابن السنى (ص 75، رقم 177)، وابن حبان (3/ 104، رقم 822)، والضياء (4/ 371، رقم 1539). وأخرجه أيضًا: الترمذى (5/ 490، رقم 3426) وقال: حسن صحيح غريب، والبيهقى (5/ 251، رقم 10090).

(2) أخرجه الترمذى (4/ 574، رقم 2345)، وقال: حسن صحيح. والحاكم (1/ 172، رقم 320)، وقال: صحيح على شرط مسلم ورواته عن آخرهم ثقات. والضياء من طريق ابن أبى عمر (5/ 49، رقم 1664) وقال: إسناده صحيح.

حكايات

نختم بها هذا الكتاب

الأولى: قال بعض الصالحين ـ رَحِمَهُ الله ـ : كنا في برية فرأينا سبعا قائما، فلما قربنا منه إذا هو أعمى، فوقفنا عليه نتعجب، وإذا بغراب معه قطعة لحم كبيرة فضرب بجناحه على أذن السبع، ففتح فمه فطرح فيه اللحم.

الثانية: سئل ذو النون المصري ـ رَحِمَهُ الله ـ عن أصل توبته قال: خرجت من مصر إلى بعض القرى فنمت في الطريق وانتبهت ففتحت عيني، فإذا أنا بقنبرة عمياء سقطت من شجرة فانشقت الأرض فخرج منها سكرجتان؛ إحداهما من ذهب والأخرى من فضة، في إحداهما سمسم وفي الأخرى ماء، فأكلت من هذه وشربت من هذه فقلت: حسبي ولزمت الباب إلى أن قبلني.

الثالثة: حكي أن أميرا اجتاز على باب حاتم الأصم فاستسقى ماء، فلما شرب رمى إليهم شيئا من المال ووافقه أصحابه ففرح أهل الدار سوى بنية صغيرة لحاتم، فإنها بكت فقيل لها: ما يبكيك؟ فقالت: نظر إلينا مخلوق فاستغنينا، فكيف لو نظر إلينا الخالق؟

الرابعة: حكي أن جماعة دخلوا على الجنيد ـ رَحِمَهُ الله ـ فقالوا له: نطلب أرزاقنا؟ قال: إن علمتم أين هي فاطلبوها. فقالوا: نسأل الله ذلك؟ فقال: إن علمتم أنه ينساكم فذكّروه. فقالوا: ندخل بيوتنا ونتوكل على الله؟ فقال: التجربة مع الله شك خطر. قالوا: ما الحيلة؟ قال: ترك الحيلة.

الخامسة: حكي أن عابدا اعتكف في مسجد ولم يكن له معلوم، فقال له الإمام: لو اكتسبت لكان خيرا لك وأفضل. فلم يجبه حتى أعاد عليه القول

ثلاثا ، فقال له في الرابعة : بجوار المسجد رجل يهودي قد ضمن لي في كل يوم رغيفين . فقال : إن كان صادقا في ضمانه فقعودك في المسجد خير لك . فقال : يا هذا لو لم تكن إماما بين الله تعالى وبين عباده مع هذا النقص في التوحيد لكان خيرا لك تفضل ضمان يهودي على ضمان الله تعالى!

السادسة : قال أبو جعفر الفرغاني : كنت عند بعض إخواننا من الصوفية بالدينور ، فجاءنا قوم من الأكراد ليشتروا لهم متاعا ثم قالوا : إنه لو علمت لمن نشتري هذا المتاع لسارعت إلى شرائه! فقال لهم : حدثوني . قالوا : نعم ، وأومئوا إلى رئيس لهم كان معهم فقالوا : هذا سيد الحي وكانت له زوجة فولدت له البنات ، فقال لها وهي حامل : إن ولدت بنتا فأنت طالق وقضي أنا رحلنا رحلة الشتاء نريد نحو المغارة ونواحيها ، فبينما نحن نسير ذات يوم إذ ضرب المرأة الطلق ، فأخذت ماء كأنها تتوضأ للصلاة فولدت بنتا ، فأخذتها ولفتها في خرقة وتركتها عند كهف جبل ، وجاءت وأظهرت أن ذلك الحمل إنما كان ريحا وقد انفش ، ثم غبنا عن ذلك المكان ستة أشهر ، ثم رجعنا ونزلنا في ذلك المكان ، فأخذت المرأة ماء ومضت نحو الكهف الذي تركت البنت فيه ، فلما قربت منه إذا غزالة قائمة عند الصبية وهي ترضعها ، فلما نظرتها الغزالة استوحشت منها وذهبت وجاءت الأم إلى الصبية فأخذتها ، فبكت ووضعتها وتنحت عنها فرجعت الغزالة ، فلم تزل ترضع وهي ساكتة فجاءت المرأة إلى الحي فأخبرتهم الخبر ، فجاءوا بأجمعهم إلى الكهف فرأوا الغزالة ترضع الصبية ، فلما أحست بهم تنحت فبكت الصبية وأخذها النساء ، ولم يزلن يرفقن بها حتى سكتت وأنست بهم وجاءوا بها إلى الحي وبقيت الغزالة تنظر من بعيد حتى رحلنا ، وهذا المتاع الذي نريد أن نشتريه جهازها وقد زوجها أبوها .

قصة إبراهيم عليه السلام

قال المفسرون ـ رحمهم الله ـ : ولد إبراهيم في زمن نمرود بن كنعان وكان نمرود أول من وضع التاج على رأسه ودعا الناس إلى عبادته، وكان له كهان ومنجمون فقالوا له : إنه يولد في بلدك في هذه السنة غلام يغير دين أهل الأرض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال إنهم وجدوا ذلك في كتب الأنبياء.

وقال السدي : رأى نمرود في منامه كان كوكبا طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع من ذلك فزعا شديدا فدعا السحرة والكهنة وسألهم عن ذلك فقالوا هو مولود يولد في ناحيتك في هذه السنة فيكون هلاك ملكك على يديه قالوا فأمر بذبح كل غلام يولد في ناحيتك في هذه السنة وأمر بعزل الرجال عن النساء واجعل على كل عشر نسوة رجلا فإذا حاضت امرأة خلى بينها وبين زوجها لأنهم كانوا لا يجامعون في الحيض فإذا طهرت حال بينهما فرجع آزر فوجد امرأته قد طهرت من الحيض فواقعها فحملت بإبراهيم. قال محمد بن إسحاق لما وجدت أم إبراهيم الطلق خرجت ليلا إلى مغارة وكانت قريبة منها فولدت إبراهيم وأصلحت من شأنه ما يصنع بالمولود ثم سدت عليه المغارة ورجعت إلى بيتها ثم كانت تعاوده لتنظر ما فعل فتجده حيا يمص إبهامه.

قال أبو روق : قالت أم إبراهيم ذات يوم : لأنظرن إلى أصابعه فوجدته يمص من أصبع ماء ومن أصبع لبنا ومن أصبع عسلا ومن أصبع تمرا ومن أصبع سمنا.

قال ابن إسحاق : كان آزر قد سأل أم إبراهيم عن حملها ما فعل قالت قد ولدت غلاما فمات فصدقها وكان اليوم على إبراهيم في الشباب كالشهر والشهر كالسنة فلم يمكث إبراهيم في المغارة إلا خمسة عشر شهرا حتى قال لأمه :

أخرجيني فأخرجته عشاء فنظر وتفكر في خلق السماوات والأرض ، وقالك : إن الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني لربي الذي ما لي إله غيره ، ثم نظر في السماء فرأى كوكبا فقال : هذا ربي . ثم أتبعه ببصره ينظر إليه حتى غاب فلما أفل قال لا أحب الآفلين ثم رأى القمر بازغا فقال هذا ربي وأتبعه ببصره حتى غاب ثم طلعت الشمس هكذا .. إلخ ، ثم رجع إلى أبيه آزر وقد استقامت وجهته وعرف ربه وبرئ من دين قومه إلا أنه لم يبادئهم بذلك فأخبره أنه ابنه وأخبرته أم إبراهيم أنه ابنه وأخبرته بما كانت صنعت في شأنه فسر آزر بذلك وفرح فرحا شديد وقيل إنه كان في السرب سبع سنين قالوا فلما شب إبراهيم وهو في السرب قال لأمه : من ربي؟ قالت : أنا . قال : فمن ربك؟ قالت : أبوك . قال : فمن رب أبي؟ قالت له : اسكت . فسكت ثم رجعت إلى زوجها ، وقالت : أرأيت الغلام الذي كنا نحدث أنه يغير دين الأرض فإنه ابنك ثم أخبرته بما قال فأتاه أبوه آزر فقال له إبراهيم : يا أبتاه من ربي؟ قال : أمك . قال : من رب أمي؟ قال : أنا . قال : فمن ربك؟ قال : نمرود . قال : فمن رب نمرود؟ فلطمه لطمة وقال له : اسكت .

وروي أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ لما جنّ عليه الليل ، أي : دخل دنا من باب السرب ، فنظر من خلال الصخرة فأبصر كوكبا ، قال : هذا ربي . وقيل : إنه قال لأبويه : أخرجاني . فانطلق به حين غابت الشمس ، فنظر إبراهيم إلى الأنعام فقال : ما هذه؟ قال أبوه : خيل وإبل وغنم . فقال : ما لهذه بد من أن يكون لها رب وخالق ، فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قيل : إنه المشترى ، وقيل : الزهرة . قال : هذا ربي . واختلفوا في قوله ذلك فأجراه بعضهم على الظاهر . وقالوا : كان إبراهيم مسترشدا طالبا للتوحيد حتى وفقه الله وآتاه رشده فلم يضره ذلك في حال الاستدلال ، وأيضا كان ذلك في حال طفوليته قبل قيام الحجة عليه فلم يكن كفرا وأنكر الآخرون هذا القول وقالوا لا يجوز أن يكون لله رسولا يأتي عليه

وقت من الأوقات إلا وهو لله موحد وبه عارف، ومن كل معبود سواه بريء، وكيف يتوهم هذا على من عصمه الله وطهره وآتاه رشده من قبل وأخبر عنه فقال: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾[1]، فقال ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2]؟ أفتراه أراه الملكوت ليوقن فلما أيقن رأى كوكبا قال هذا ربي معتقدا؟ فهذا لا يكون أبدا.

ثم قالوا فيه أربعة أوجه من التأويل:

أحدهما: أن إبراهيم أراد أن يستدرج القوم بهذا القول ويعرفهم خطأهم وجهلهم في تعظيم ما عظموه، وكانوا يعظمون النجوم ويعبدونها، ويرون أن الأمور كلها إليها، فأراه أنه معظم ما عظموا وملتمس الهدى من حيث ما التمسوا، فلما أفل أراهم النقص الداخل على النجوم ليثبت خطأ ما يدعون، ومثل هذا مثل الحواري الذي ورد على قوم يعبدون الصنم فأظهر تعظيمه فأكرموه حتى صدروا في كثير من الأمور عن رأيه إلى أن دهمهم عدو فشاوره في أمره، فقال: الرأي أن تدعوا هذا الصنم حتى يكشف عنا ما قد أظلنا واجتمعوا حوله يتضرعون فلما تبين لهم أنه لا ينفع ولا يدفع دعاءهم إلا أن يدعوا الله فدعوه فصرف عنهم ما كانوا يحذرون فأسلموا.

والوجه الثاني: من التأويل أنه قال: على وجه الاستفهام وتقديره أهذا ربي؟ كقوله تعالى: ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾[3]. وذكره على وجه التوبيخ منكرا لفعلهم يعني: أومثل هذا يكون ربا؟ أي: ليس هذا ربي.

والوجه الثالث: أنه ذكره على وجه الاحتجاج عليهم يقول هذا ربي

(1) سورة الشعراء، الآية: 89.

(2) سورة الأنعام، الآية: 75.

(3) سورة الأنبياء، الآية: 34.

بزعمكم، فلما غاب قال: لو كان إلها لما غاب كما قال: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾[1]. عند نفسك وبزعمك. وكما أخبر عن موسى أنه قال: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾[2] يريد إلهك بزعمك.

والوجه الرابع: فيه إضمار وتقديره يقولون هذا ربي كقوله تعالى ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾[3] أي: يقولان: ربنا تقبل منا.

ثم إن إبراهيم عليه السلام رجع إلى أبيه، وقد صار شابا بحيث سقط عنه طمع الذباحين وضمه آزر إلى نفسه وجعل آزر يصنع الأصنام ويعطيها لإبراهيم ليبيعها فيذهب بها إبراهيم وينادي من يشتري شيئا يضره ولا ينفعه؟ فلا يشتريها أحد ثم يذهب بها إبراهيم إلى نهر فيضع فيه رءوسها ويقول اشربي استهزاء بقومه وبما هم فيه من الضلالة حتى فشا استهزاؤه بها في قومه وأهل قريته ثم إن إبراهيم عليه السلام لم يزل يدعوهم إلى عبادة الله عز وجل وترك عبادة الأصنام ولم يجيبوه إلى ذلك فاحتال عليهم فكسر أصنامهم فأمر نمرود بإحراقه فجمعوا له حطبا كثيرا وكان الرجل والمرأة ينذران في بعض ما يطلبان إن أصاباه ليحتطبان في نار إبراهيم.

وذكر ابن عساكر في **تاريخه** عن علي ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ أن البغال كانت تتناسل وكانت أسرع الدواب في نقل الحطب لنار إبراهيم فدعا عليهم فقطع الله نسلهم.

(1) سورة الدخان، الآية: 49.

(2) سورة طه، الآية: 97.

(3) سورة البقرة: الآية: 127.

قال ابن إسحاق: لما أرد نمرود وقومه إحراق إبراهيم عليه السلام كانوا يجمعون الحطب له شهرا فلما جمعوا ما أرادوا أشعلوا في كل ناحية من الحطب فاشتعلت النار واشتدت حتى كان الطائر ليمر بها فيحترق من شدة وهجها فأوقد عليها سبعة أيام وروي أنهم لم يعلموا كيف يلقونه فيها فجلس إبليس فعلمهم عمل المنجنيق فعملوا، ثم عمدوا إلى إبراهيم ـ عليه السلام ـ فرفعوه على رأس البنيان وقيدوه ووضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا، فصاحت السماء والأرض ومن فيهن من الملائكة وجميع الخلق إلا الثقلين صيحة واحدة أي: ربنا إبراهيم خليلك يلقى في النار، وليس في الأرض أحد يعبدك غيره فأذن لنا في نصرته، فقال الله عز وجل: إنه خليلي ليس لي خليل غيره، وأنا إلهه ليس له إله غيري؛ فإن استعان بشيء منكم أو دعاه فلينتصر، فقد أذنت له في ذلك وإن لم يدع غيري فأنا أعلم به وأنا وليه، فخلوا بيني وبينه، فلما أرادوا إلقاءه في النار أتاه خازن المياه فقال له: إن أردت أخمدت النار. وأتاه خازن الرياح فقال: إن شئت طيرت النار في الهواء. فقال إبراهيم: لا حاجة لي إليكما حسبي الله ونعم الوكيل.

وروي عن أبي بن كعب ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ أن إبراهيم عليه السلام قال حين أوثقوه ليلقوه في النار: لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين، لك الحمد ولك الملك لا شريك لك، ثم رموا به في المنجنيق إلى النار واستقبله جبريل ـ عليه السلام ـ فقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا. قال جبريل: فسل ربك. فقال إبراهيم: حسبي من سؤالي علمه بحالي.

قال كعب الأحبار: جعل كل شيء يطفيء عنه النار إلا الوزغ، فإنه كان ينفخ على نار إبراهيم.

وعن أم شريك ـ رَضِيَ الله عَنْها ـ أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الوزغ[1] قال : «**كان ينفخ في نار إبراهيم**» [2].

قال ابن عباس ـ رَضِيَ الله عَنْهُما ـ في قوله تعالى : ﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾[3] لو لم يقل وسلاما لمات إبراهيم من بردها .

وفي الآثار أنه لم يبق يومئذ نار في الأرض إلا طفئت ، فلم ينتفع ذلك اليوم بنار في العالم ولو لم يقل على إبراهيم لبقيت ذات برد أبدا .

قال السدي : فأخذت الملائكة بضبعي إبراهيم فأقعدوه على الأرض فإذا عين ماء عذب وورد أحمر ونرجس .

قال كعب : ما أحرقت النار من إبراهيم إلا وثاقه قالوا وكان إبراهيم في ذلك الموضع سبعة أيام قال المنهال بن عمر . وقال إبراهيم : ما كنت في أيام قط أنعم مني من الأيام التي كنت في النار .

قال ابن بشار : وبعث الله عز وجل ملك الظل في صورة إبراهيم فقعد فيها إلى جنب إبراهيم يؤنسه قالوا وبعث الله عز وجل جبريل بقميص من حرير الجنة وطنفسة فألبسه القميص وأقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه ، وقال جبريل : يا إبراهيم إن ربك يقول أما علمت أن النار لا تضر أحبابي؟

ثم نظر النمرود وأشرف على إبراهيم من صرح له فرآه جالسا في روضة والملك قاعد إلى جنبه وما حوله نار تحرق الحطب فناداه يا إبراهيم كبر إلهك الذي

---

(1) الوزغ : جنس من الدوييات له أنواع كالبرص وغيرها ، وتشترك فى كونها سامة كلها ، وتختلف فى أشكالها وأماكن وجودها .

(2) أخرجه أحمد (6/ 83، رقم 24578) ، وابن ماجه (2/ 1076، رقم 3231) ، قال البوصيرى (239/3) : هذا إسناد صحيح . وابن حبان (12/ 447، رقم 5631) وأخرجه أيضًا : ابن أبى شيبة (4/ 260، رقم 19898) ، وأبو يعلى (7/ 317، رقم 4357) .

(3) سورة الأنبياء ، الآية : 69.

بلغت قدرته أن حال بينك وبين النار يا إبراهيم هل تستطيع أن تخرج منها؟ قال: نعم قال وهل تخشى إن أقمت فيها أن تضرك؟ قال لا قال فقم فاخرج منها فقام إبراهيم يمشي حتى خرج منها ثم كف نمرود عن إبراهيم ومنعه الله منه قيل كان إبراهيم حين ألقي في النار ابن ستة عشر سنة قال الله تعالى ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠﴾[1]. قيل: معناه أنهم خسروا السعي والنفقة ولم يحصل لهم مرادهم.

قال ابن عمر: الذي قال حرقوه وانصروا آلهتكم كان كرديا وقيل اسمه هيرن فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة.

وروي أن نمرود قال: إن كان ما يقول إبراهيم حقا فلأصعدن إلى السماء فأعلم ما فيها فعمد إلى أربع أفراخ من النسور فرباها حتى شبت واتخذ تابوتا وجعل له بابا من أعلى وبابا من أسفل وقعد مع رجل في التابوت ونصب خشبات في أطراف التابوت وجعل على رءوسها اللحم وربط التابوت بأرجل النسور وخلاها فطارت وصعدت طمعا في اللحم حتى مضى يوم وأبعدت في الهواء فقال نمرود لصاحبه افتح الباب الأعلى وانظر إلى السماء هل قربنا منها ففتح الباب ونظر فقال إن السماء كهيئتها ثم قال افتح الباب الأسفل وانظر إلى الأرض كيف تراها فقال إن الأرض مثل اللجة والجبال مثل الدخان فطارت النسور يوما آخر وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال لصاحبه افتح البابين ففتح الباب الأعلى فإذا السماء كهيئتها وفتح الأسفل فإذا الأرض سوداء مظلمة قال عكرمة كان معه غلام قد حمل القوس والنشاب فرمى بسهم فعاد إليه متلطخا بدم سمكة فدت بنفسها من بحر في الهواء وقيل طائر أصابه السهم فقال كفيت شغل إله السماء ثم أمر صاحبه أن يصوب الخشبات وينكس اللحم ففعل فهبطت

(1) سورة الأنبياء، الآية: 70.

النسور بالتابوت فسمعت الجبال خفيق التابوت والنسور ففزعت وظنت أن قد حدث حادث من السماء وأن الساعة قد قامت فكادت تزول عن أماكنها فذلك قوله تعالى ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾[1] ثم إن الله فتح على نمرود بابا من البعوض فسترت عين الشمس وأكلت عسكره ولم تترك إلا العظام ودخلت واحدة منها دغامه فأكلته حتى صارت مثل الفأرة فكان أعز الناس عنده بعد ذلك من يضرب دماغه بمطرقة لذلك، فبقى البلاء أربعين يوما. قيل إن الحكمة في أن الله أهلك فرعون بالماء ونمرود بالبعوض أن فرعون افتخر بالماء فقال ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾[2] وافتخر نمرود بأعظم الطيور وهي النسور فكان هلاكه بأدناها قيل كان بين الطوفان وبين مولد إبراهيم ألف سنة ومائتان وستون سنة وذلك بعد خلق آدم عليه السلام بثلاثة آلاف سنة وثلثمائة سنة وسبع وثلاثين سنة وعاش آدم سبعمائة وثلاثين سنة وقال وهب ألف سنة وولدت له حواء أربعين ولدا في عشرين بطنا ثم بارك الله في نسله قال ابن عباس لم يمت آدم حتى بلغ ولده وولد ولده أربعين ألفا.

❊ ❊ ❊

(1) سورة إبراهيم، الآية: 46.

(2) سورة الزخرف، الآية: 51.